

## المدرسة الإسلامية وتطورها معمارياً في العصر الإسلامي

الدكتور: وائل منير الرشيدان

الدكتور: خلف فارس الطروانة

جامعة اليرموك

### تمهيد:

اهتم المسلمون اهتماماً كبيراً بالعلم من القرآن الكريم مصدر عقيدتهم ووحى حياتهم حين أقسم الله تعالى فيه بالقلم، وحينما أخذ العلم والعلماء منزلة رفيعة في الإسلام، مثلما حث القرآن رسول الله (ص) والمؤمنين كذلك على القراءة والتعلم والعلم استدلالاً بقوله: "اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم" صدق الله العظيم. (القرآن الكريم، سورة العلق، الآيات من ١-٥). إن هذه الآيات القرآنية تحمل دعوة صريحة إلى التعلم كما تؤكد أهمية العلم والتعليم في حياة الإنسان بشكل عام والمسلم بشكل خاص، وآيات أخرى تؤكد مساواة المؤمن بالعالم وفي المقام حيث جاء في محكم تنزيله "يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات" صدق الله العظيم. (القرآن الكريم، سورة المجادلة، آية ١)<sup>(١)</sup>.

لهذا يلاحظ أن الرسول الكريم (ص) قد بدأ بتعليم أصحابه للقرآن الكريم ليسهل عليهم الفهم لتعاليم دينهم الإسلامي الحنيف، كما جعل الرسول (ص) يدعوهم إلى العلم

بأحاديث شريفة منها: (طلب العلم فريضة على كل مسلم<sup>(٢)</sup>)، وقوله أيضاً (اطلب العلم ولو في الصين).

ومن بعده سار الخلفاء الراشدون على نهج الرسول محمد (ص) في دعمهم وتشجيعهم للعلم والعلماء بأنفسهم، فجالسوه في المساجد، تشجيعاً ومتابعة، في ضوء احتياجاتهم إلى القراءة والكتابة وقد ذلك المتعلمون. فقد ذكر المؤرخون أن الرسول محمد (ص)، بعد تحقيقه للنصر في غزوة بدر كان قد طلب من الأسرى الذين يرغبون بإطلاق سراحهم، تعليم عشرة من أطفال المسلمين القراءة والكتابة<sup>(٣)</sup>، فكانت هذه السياسة هي أول خطوات الرسول (ص) في تحقيق التعليم بالمجتمع الإسلامي، ولم تطل الفترة حتى بدأ الإسلام يثبت في نفوس أصحابه، وبدأ الخلفاء والأمراء والسلاطين بتشديد العديد من المؤسسات التعليمية على شكل دور السكن (البيوت)، ثم المستشفيات والكتاتيب، ودور القرآن ودور العلم والحكمة، وفي البيمارستانات، وفي القصور، والحوانيت وكذلك ما عرف بالوراقين، وأخيراً الخانقوات، ثم المدارس التي شاع انتشارها على وجه الخصوص في العصرين الأيوبي والمملوكي بفترتيه الأولى والثانية وتعد مدارس بيت المقدس خير دليل وشاهد على ذلك.

ونظراً لأهمية هذه المؤسسات بخدمات البيوت، وانتهاء به الممارسات التعليمية بتعريف هذه المؤسسات التعليمية أخذاً بأولوية الاستعمال والسبق ترتيباً ومنهجية فقلنا الاستعراض بالحديث والتاريخ والواقع العلمي والعملي في البيوت والمدارس في دور السكن (البيت والمنزل):

لقد كانت دار الأرقم بن أبي الأرقم هي أول منشأة تعليمية إسلامية وأول دارية التعليم فيها، فقد كانت أشبه بالملتقى الفكري والثقافي. فيها يجتمع الرسول (ص) بالأصحاب لتدارس تعاليم الدين، وتفسير القرآن الكريم، وأخذ مبادئ ذلك الدين الإسلامي الجديدة، وبعد تعددت البيوت التي أصبحت مراكز علمية وتعليمية يؤمها المعلمون

والمتعلمون، فكانت منها دار (أبي سلمان)، مركزاً للمناظرة والمجادلة فيها يلتقي أبو حيان التوحيدي والمقدسي وغيرهم<sup>(٤)</sup>، وهذه "دار الدين" لابن سينا مثلاً عريقاً على ذلك<sup>(٥)</sup>. إن هذه الدور كانت تمثل النواة الأولى والبذرة البكر لتأسيس المدارس الإسلامية المتطورة ، التي شهدها التاريخ الإسلامي فيما بعد.

### المساجد:

لقد جاء القرآن الكريم "إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر، وأقام الصلاة وآتى الزكاة"، (القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية ١٩). إن هذه الآية تحمل في دلالاتها وتنايها حثاً صريحاً على تعمير بيوت الله بالعلم والحلقات الدينية الفقهية والتعليمية، ومن هنا شيد المسلمون والخلفاء الراشدون المساجد في أكثر مدنهم، حتى أصبحت هذه المساجد من أهم المباني الإسلامية، والمراكز التعليمية، ففيها تقام العبادات.....، وأصبحت أيضاً جلسات علم، وتعليم، وذكر وتوحيد، ومجالس شورى، حتى أصبحت المساجد ذات رسالة تعليمية هامة والمتتبع لسيرة التعليم الإسلامي يجد أن للمساجد دوراً تربوياً أساسياً وثقافياً في حياة المجتمع المسلم والدولة الإسلامية. ولذلك نجد أن المسلمين قد أقاموا المساجد وشيدوها هنا وهناك وفي سائر أمصار الدولة الإسلامية. ففي مصر، أقيم مسجد عمرو بن العاص أول مسجد عرف باسمه في سنة ٢١ هـ / ٦٤١م، وكذلك مسجد الكوفة وغيرها من المساجد.

واستمر بناء المساجد في العصر الأموي واتسع مداه، ففي دمشق شيد الجامع الأموي بدمشق، ومسجد قبة الصخرة، والمسجد الأقصى، ومسجد القيروان، وغيرها من المساجد الكبرى. إضافة إلى قصور الأمويين الخاصة بهم وما جاورها من مساجد كمسجد قصر الحلابات، ومسجد خربة المفجر، ومسجد أم الوليد، ومسجد قصر المشتى... الخ. وازداد هذا النشاط في العصر العباسي حيث شيد العديد من المساجد

فهذا جامع المنصور في بغداد، الذي بناه أبو جعفر المنصور وأبدع فيه وتفنن بإتقانه عام ١٤٥هـ/٧٦٢م.

وفي العصر الفاطمي أيضاً بنى جوهر الصقلي المسجد الشهير الأزهر سنة ٣٦٠هـ / ٩٧٠م، والذي أصبح مركزاً مهماً للتعليم، وهو الآن جامعة إسلامية عريقة من أهم الجامعات الإسلامية في زماننا هذا.

### دور القراء (الكتاتيب):

وتقسم إلى ثلاثة أنواع هي:

#### الكتاتيب:

• تعتبر هذه الكتاتيب من المدارس الأولى في الإسلام، مهمتها تعليم القراءة والكتابة كان يؤمها في الغالب الصبيان، وقد ورد ابن خلدون في مقدمته: "أهل المشرق... إن عنايتهم بدراسة القرآن وصحف العلم وقوانينه في زمن الشبيبة ولا يخلطون بتعليم الخط ولا يتداولوه في مكاتب الصبيان".<sup>(٦)</sup>، وقد ازداد عدد الكتاتيب في القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي)، حتى أصبح فيه واحداً في كل حي وفي كل قرية وكانت ترفد المدارس بالطلبة الذين يجيدون القراءة والكتابة<sup>(٧)</sup>.

• دور القرآن: كانت رسالتها تعليم القرآن الكريم ويرجح بأنها ظهرت في الربع الأخير من القرن الأول بعد أن قام الخليفة عثمان بن عفان بجمع القرآن، وكانت مخصصة لتعليم الصبيان تلاوة القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة<sup>(٨)</sup>.

• دور العلم والحكمة: ونسبها اليوم بالمكتبات والتي أنشأها المسلمون في العديد من المدن الإسلامية، التي كانت زاخرة بالعديد من المؤلفات العربية والأعجمية واليونانية والمترجمة. وأول هذه الدور (دار الحكمة) أنشأها الخليفة الرشيد في بغداد سنة ١٨٥هـ، في عهد ابنه المأمون، الذي شجّع الترجمة من اللغات

اليونانية والأعجمية والهندية. وفي سنة ٣٩٥هـ / ١٠٠٥م، فتحت (دار الحكمة) في القاهرة، التي كانت مجلساً للحكام والفقهاء وطلاب العلم<sup>(٩)</sup>.

### البيمارستانات:

المستشفيات هي مبانٍ جعلت لمعالجة المرضى أولاً، ثم لتدريس علوم الطب والصيدلة ثانياً. وأولى هذه المباني أنشئت في زمن الوليد بن عبد الملك في مدينة دمشق سنة ٨٦هـ / ٧٠٥م<sup>(١٠)</sup>، وآخر بناه المنصور العباسي في بغداد، ويذكر بعض المؤرخين أن الرشيد هو أول من بناه في بغداد في سنة ٢٥٩هـ / ٨٧٢م. وكذلك الحال في مصر، فقد بنى أحمد بن طولون بيمارستان في مدينة القطائع سنة ٢٥٩هـ / ٨٧٢م<sup>(١١)</sup>، وكانت تلقى فيه المحاضرات في الطب، وكانت تحتوي على عدد كبير من الكتب المتخصصة تقارب المائة ألف مجلد في عددها. وكذلك أنشئ في سنة ٣٠٦هـ / ٩١٨م، ببغداد البيمارستان المقتدري. وفي سنة ٥٧٧هـ / ١٣٠٥م، أنشئ بيمارستان بغرناطة في الأندلس، وفي القرن الثامن الهجري أنشأ السلطان العادل نور الدين البيمارستان النوري في دمشق<sup>(١٢)</sup>، وكذلك أنشئ العديد من البيمارستانات منها بيمارستان القيمري أو الصالحية، الذي أنشأه الأمير الكبير سيف الدين علي بن يوسف القيمري بالصالحية، الذي توفي سنة ٦٥٤هـ<sup>(١٣)</sup>.

### حوانيت الوراقين:

ظهرت في بداية العصر العباسي وانتشرت بعد ذلك في كافة أنحاء الدولة الإسلامية وقد فتحت للأعمال التجارية وأصبحت فيما بعد دوراً للثقافة، والحوار العلمي، وملقى الأدياء والشعراء والعلماء وأصبحت مكاناً لاجتماعاتهم ومناظراتهم ومن أشهر حوانيت الوراقين حانوت (ابن النديم) وحانوت (ياقوت الحموي)، صاحب (معجم الأدياء)<sup>(١٤)</sup>، ولم تقل هذه الحوانيت في أهميتها عن سابقتها من المراكز التعليمية.

## القصور:

اهتم الخلفاء والسلاطين المسلمون بمجالس العلم والمناظرات العلمية والشعرية الفقهية والحكمة، وعلم المنطق والكلام، وقد جاء في المصادر التاريخية أن العديد من الخلفاء كانوا يجلسون فيه، ويشاركون في هذه المناظرات ومنهم عبد الملك بن مروان، وولده الوليد بن عبد الملك، وهارون الرشيد وولده المأمون<sup>(١٥)</sup>، وهذه القصور كانت من مراكز التعليم أيضاً لأبناء الخلفاء والأمراء، وفيها قام المؤدب على تنقيف وتعليم وتأهيل الأبناء لتحمل مسؤولياتهم القادمة<sup>(١٦)</sup>.

## المدرسة:

يبدو من اسم المدرسة أن وظيفتها الأساسية كانت تدريس العلوم الفقهية، لأن المدرسة لغة، هي الموضع الذي يُدرس فيه<sup>(١٧)</sup>.

وقد اتفق العلماء على تسمية المدرسة للبناء الذي يتكون من صحن مكشوف وإيوانين متقابلين، أو أربعة أواوين متقابلة، وإيوان القبلة يكون أوسعها ويعرف بإيوان الصلاة والإيوان: هو أحد العناصر المعمارية المميزة للمدرسة وهو عبارة عن ساحة مستطيلة الشكل مضمّنة من ثلاث جهات ومفتوحة من جهة واحدة على الصحن، ويغطيها قبو كبير<sup>(١٨)</sup>، وهي تمثل إحدى المباني الدينية في العمارة الإسلامية. وهذه المباني أخذت على عاتقها رفد المسيرة التعليمية كمكان للدراسة والتعليم حيث كانت هذه المهمة مقتصرة في السابق على المساجد، وكانت أروقة المسجد مخصصة للأساتذة يستعملونها فصولاً للدراسة في شكل حلقات، وروى المقرئزي، عن نشأة المدارس حيث يقول بها: "والمدارس مما حدث في الإسلام، ولم تكن تعرف في زمن الصحابة ولا التابعين وإنما حدث عملها بعد الأربعمائة من سنين الهجرة". وأول من حفظ عنه أنه بنى مدرسة في الإسلام آل نيسابور<sup>(١٩)</sup>. وهناك إجماع فيما بين المؤرخين والعلماء على أن "نيسابور" هي أول المدن التي عرفت المدارس، والتي بدأت في دور

المدرسين، ومن ثم أصبح لها مبنى خاصاً بها وبناء على ما أورده المؤرخون نجد أن أول هذه المدارس التي أنشئت في هذه المدينة هي مدرسة حسان القرشي الأموي المتوفي سنة (٣٤٩هـ/٩٦٠م)، إذن يجب أن تكون قد بنيت هذه المدرسة قبل ثلاثين أو أربعين عاماً من وفاة مؤسسها<sup>(٢٠)</sup>.

كذلك أنشأ ابن حيان التميمي قبل عام (٣٥٤هـ/٩٦٤م)، مدرسة له في نيسابور وأنشأ هذه المدرسة في داره<sup>(٢١)</sup>، وفي عام ٣٩١هـ/١٠٠١م، أنشأ الأمير شجاع الدولة صادر بن عبد الله مدرسة له في مدينة دمشق، ولكن العليي يؤكد بأن تاريخ بناء هذه المدرسة يعود إلى عام ٤٩١هـ وليس لعام ٣٩١هـ<sup>(٢٢)</sup>، ويؤكد ابن خلكان وياقوت الحموي، بأن أبي بكر بن فورك الأصفهاني المتوفي عام ٤٠٦م، قد بنى مدرسة له ولكن يجب أن تكون قد بنيت قبل هذا التاريخ<sup>(٢٣)</sup>.

وبنيت العديد من المدارس في "نيسابور" بعد ذلك من أهمها (المدرسة السعدية) التي بناها الأمير نصر بن سيكتكين، أخو السلطان محمود عندما كان والياً على نيسابور، وقد بنيت العديد من المدارس بعد ذلك إلى أن بدأ السلطان السلجوقي طغرل بيك في بناء المدارس. وأشار ناصر خسرو<sup>(٢٤)</sup>. أثناء رحلته في نيسابور (٢٣٧هـ/١٠٤٦م). واستمر اهتمام السلاجقة ببناء المدارس في بغداد والموصل وغيرها، ذلك عندما بدأ نظام الملك، "الوزير السلجوقي" بإنشاء المدارس في كافة المناطق حتى قيل إنه قد بنى في كل مدينة مدرسة<sup>(٢٥)</sup>. وذكر الرحالة ابن جبير إنه شاهد في سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م، في مدينة دمشق عشرين مدرسة، وفي حلب ست مدارس، وفي الموصل مثلها، وفي بغداد ثلاثين مدرسة، ولم يكن هذا الاهتمام بأقل من ذلك في العصر الأيوبي، حيث كان لهم في مدينة دمشق وحدها خمسون مدرسة. واثنان وعشرون مدرسة في حلب، وفي مصر أنشأ الفاطميون المدارس بالإسكندرية والقاهرة، أهمها المدرسة العوفية، والسلفية، والمدرسة السرورية<sup>(٢٦)</sup>. وأكمل الأيوبيون بناء المدارس في مصر وقد بلغت حسب روايات المؤرخين أربعة وعشرون مدرسة

تقريباً في كل من الفسطاط، ومدرستين في الفيوم، وأقدمها المدرسة الناصرية الأولى، والتي عرفت فيما بعد باسم المدرسة الشريفة، والتي أنشأها صلاح الدين الأيوبي<sup>(٢٧)</sup>، وآخر هذه المدارس الأيوبية المدرسة الصالحية.

والجدير بالذكر أن معظم هذه المدارس الأولى، التي وجدت في نيسابور، والشام، والعراق، ومصر، وكذلك المدارس التي توجد في الإسكندرية والفيوم والقاهرة، قد اندثرت أو تهدمت ولم يبقَ إلا بعض أجزاء من مبانيها فيما عدا بعض أطلال وأجزاء من المدرسة الكاملية والصالحية، التي أنشئت في العصر الأيوبي تبين تخطيطها إضافة إلى أطلال بعض المدارس في الشام والعراق<sup>(٢٨)</sup>. وهناك اختلاف بين العلماء على أقدم المدارس الإسلامية وقد بنوا نظرياتهم على تخيل المباني وذهب كل منهم لتأييد نظريته لرسم هذه المباني حسب تخيلهم.

أما في سورية، فيعتقد أن أقدم المدارس السورية الباقية هي مدرسة كومشنتكين في بصرى الشام، وأنشئت في سنة ٥٣٠هـ / ١١٣٦م، وأحدث دراسة لهذه المدرسة نشرت في دليل مدينة بصرى، الذي أصدر بالعربية والألمانية وتخطيطها كما جاء في هذا الدليل أنها تعتمد في تصميمها على أربعة إيوانات<sup>(٢٩)</sup>، وهذا يتعارض مع ما جاء به كل من أحمد فكري وكامل حيدر<sup>(٣٠)</sup>، الذين قاموا بوصفه على أنه مبنى مستطيل الشكل يتوسطه صحن مكشوف مربع الشكل طول ضلعه خمسة أمتار ونصف (٥,٥) وعمقه سبعة أمتار ونصف (٧,٥)، ويحيط بالصحن من جهاتها الأخرى قاعات كانت مخصصة للدراسة وسكن الطلاب، ومنشآت أخرى كالمطبخ والمكتبة والحمامات، وقاعة لمشرف المدرسة والأساتذة<sup>(٣١)</sup>. وفي سورية وجدت العديد من المدارس، التي أنشئت في هذه الفترة منها مدرسة "دار الحديث النوري" في دمشق، والتي أنشأها السلطان نور الدين محمود سنة (٥٤٩ - ٥٦٩هـ / ١١٥٤ - ١١٧٤م)، ولم يبقَ منها سوى إيوان القبلة وبعض أجزاء من الجزء المقابل للإيوان<sup>(٣٢)</sup>. وقد حاول



العلماء عمل مخطط لهذه المدرسة ولكن المخططات جاءت غير متطابقة مع بعضها البعض.

- مدرسة خان أتون في حلب: بنيت سنة ٥٦٤هـ / ١١٦٨م، وهذه المدرسة كانت مخصصة للمذهب الحنفي، وقد أورد أحمد فكري وصفاً لما تبقى من هذه المدرسة، والتي يستدل على ما تبقى منها أنها تحتوي على إيوان القبلة وصحن مكشوف مربع الشكل طول ضلعه ١٤ متراً، وإيواناً للقبلة<sup>(٣٣)</sup>.

- المدرسة النورية الكبرى: بناها نور الدين زنكي في دمشق سنة ٥٦٧هـ / ١١٢٧م، "وتخطيطها يُظهر أنها تتكون من صحن مكشوف طوله ٢٠,٥م، وعرضه ١٦م، وإيوان القبلة مستطيل الشكل طول ضلعه ١٤م وعرضه ٦م، وكما يوجد في زوايا المدرسة قاعات مستطيلة، وقد أيد هذا التفسير هرتزفيلد، الذي فسر أن المدرسة تتكون من إيوانين متقابلين هما إيوان القبلة والإيوان المقابل له، إضافة إلى وجود حجرات وغرف تحيط بالصحن المكشوف<sup>(٣٤)</sup>.

- المدرسة العادلية: أنشأها نور الدين زنكي في دمشق وهي تشبه إلى حد كبير (المدرسة النورية) السابق ذكرها، إلا أن نور الدين توفي قبل إتمام إعمارها، أتمها من بعده الملك المعظم عيسى في سنة ٦١٩هـ / ١٢٢٢م، ودفن بها الملك العادل سيف الدين أيوب سنة ٦١٥هـ / ١٢١٨م<sup>(٣٥)</sup>.

- المدرسة الظاهرية (البرانية): بنيت في مدينة حلب سنة ٦١٦هـ / ١٢١٩م، وأوقفت على المذهب الشافعي هي تعتمد في تصميمها على صحن مكشوف مستطيل الشكل وعلى إيوانين أوسعهما إيوان القبلة<sup>(٣٦)</sup>.

- المدرسة السلطانية: بنيت في مدينة حلب سنة ٦٢٠هـ / ١٢٢٤م، وهي تعتمد في تصميمها على صحن مكشوف مربع الشكل وتحتوي على إيوان القبلة

والحجرات تحيط بالصحن المكشوف وبنيت في الزاوية الشرقية لإيوان القبلة حجرة الضريح، وبنيت هذه المدرسة للمذهبين الشافعي والحنفي<sup>(٣٧)</sup>.

- المدرسة البخيتة: التي أنشأها شاذ بخت، معتوق الملك العادل محمود بن زنكي وبنيت سنة ٥٨٩هـ / ١١٩٣م، أوقفها على فقهاء المذهب الحنفي، وهي تشبه في تخطيطها العام المدرسة النورية حيث إن تخطيطها تكون من صحن مكشوف مستطيل الشكل وإيوانين إيوان القبلة والإيوان المقابل له، ويحيط بالصحن عدد من الغرف<sup>(٣٨)</sup>. وهناك مدرسة أخرى تعود إلى نفس الفترة وهي مدرسة معرة النعمان وأنشأت في سنة ٥٩٥هـ / ١١٩٩م.

نلاحظ من هذا العرض السريع لمدارس هذه الفترة أن تصميمها يتكوّن من إيوان واحد أو إيوانين متقابلين، وصحن مكشوف تحيط به غرف أو حجرات وبعضها يحتوي على ضريح للمؤسس أو للمنشئ. وبعضها يحتوي على طابقين. أما في العراق وفي نفس الفترة أنشئت المدرسة المنتصرية، التي بنيت سنة ٦٢٥هـ / ١٢٢٨م، بناها الخليفة العباسي المنتصر بالله، وهي أول مدرسة في الإسلام تخصص لتدريس المذاهب الأربعة وهي أكبر المدارس السابقة من حيث الحجم وهي لا زالت تحتفظ بعناصرها المعمارية، التي توضح تصميمها وتخطيطها وتصميمها ما يماثل المدرسة النظامية، التي أمر بإنشائها نظام الملك الذي وزر لثلاثة سلاطين من السلاجقة، وبدأ في بنائها سنة ٤٥٧هـ / ١٠٦٥م، وانتهى من بنائها عام ٤٥٩هـ / ١٠٦٧م<sup>(٣٩)</sup>. والمدرسة مقامة على مساحة مستطيلة الشكل طولها ١٠٥م، وعرضها ٨٤م جنوباً و٤٤م شمالاً<sup>(٤٠)</sup>. وتصميمها يتكون من صحن مستطيل الشكل مدخلها يقع إلى الجهة الشمالية، ومسجد المدرسة يتجه نحو الجنوب وهو مكون من بلاطة واحدة وفي الجانبين الشرقي والغربي يتوسطهما إيوانين، يحيط بهما باقي الجهات المطلّة على الصحن غرف لسكن الطلبة والمدرسين مكون من طابقين، الطابق الثاني كان

مخصصاً أيضاً لسكن الطلبة أو المدرسين، وبنيت المنافع العامة في الركن الشمالي الشرقي من البناء.

أما في مصر فإن المدارس قد عرفت ابتداءً من العصر الفاطمي، فقد أنشئت مدرسة بنيت على مشهد السيد الشريف معاذ بن داود في سنة ٥٥٢هـ / ١٠٥٣م<sup>(٤١)</sup>، وأنشأ مسرور الخادم مدرسة عرفت باسم المدرسة السرورية، وأنشئت في مدينة الإسكندرية المدرسة العوفية التي أنشئت في عهد الخليفة الحافظ لدين الله<sup>(٤٢)</sup>، التي أمر ببنائها الوزير رضوان بن ولخشي في عام ٥٣٢هـ / ١١٣٨م<sup>(٤٣)</sup>، أما في العصر الأيوبي فقد أنشئت العديد من المدارس وقد تحدث الأستاذ أحمد فكري عن إنشاء حوالي أربع وعشرين مدرسة أنشئت في القسطنطينية، والقاهرة، ومدرستين في مدينة الفيوم، ومن أهم هذه المدرسة الناصرية، التي بناها صلاح الدين الأيوبي في سنة ٥٦٦هـ / ١١٧٠م<sup>(٤٤)</sup>. عندما كان وزيراً للخليفة العاضد، وأنشأ صلاح الدين أيضاً المدرسة القمحية، وكذلك الملك العادل مدرسة بالقاهرة عرفت باسم المدرسة العادلية. وبنى الملك العادل عدداً آخر من المدارس وكذلك أمراء جنده. أمر الكامل ناصر الدين محمد بإنشاء المدرسة الكاملية في سنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م)، كما أمر السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب في سنة ٦٣٩هـ / ١٢٤٢م)، بإنشاء المدرسة التي تعرف باسم المدرسة الصالحية، لقد اندثر معظم المدارس الكاملية ولم يعرف تصميمها وتخطيطها ولكن بقيت بعض آثار من المدرسة الكاملية والمدرسة الصالحية حيث تعذّن هما نواة المدارس المصرية وحلقة تطورها، وقد حاول العديد من العلماء رسم مخطط للمدرسة الكاملية، التي كانت تعتمد في تصميمها على صحن مكشوف وإيوانين متقابلين، وغرف الطلبة كانت تحيط بالصحن المكشوف<sup>(٤٥)</sup>، مخطط، وهذه المخططات هي محاولة لتصوير ما كانت عليه هاتان المدرستان. أما المدرسة الصالحية فهي مدرسة أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب وانتهى العمل بها في سنة ٦٤١هـ /

١٢٤٣م)، وقد أنشئت لتدريس المذاهب الأربعة: للحنفي، والشافعي، والمالكي، والحنبلي. وهي أول مدرسة أنشئت في مصر<sup>(٤٦)</sup>.

وتخطيط المدرسة يستدل من بقاياها وبعد إجراء الحفريات الأثرية، أن المدرسة تتكون من كتلتين معماريتين تقسمهما حارة الصالحية إلى قسمين يدخل إليها بيباب موازر بعقدين يصلان بين كتلي البناء.

أما تخطيط المدرسة، فقد أثار جدلاً ونقاشاً علمياً بين مجموعة من العلماء العرب والأجانب من حيث تخطيط المدرسة وحول ما أورده بعض المؤرخين عن عدد الأواوين فيها، وقد تناول أحمد فكري هذه الآراء بشكل مفصل ويمكن أن نستخلص ما جاء من هذه الآراء كما يلي:

اتفق العلماء، كريزول، وفان برشيم، وهرتس، على أن المدرسة الصالحية كانت تتكون من مدرستين مستقلتين، وذلك اعتماداً على ما أورده المؤرخ المقرئزي، حيث يرى كريزول وهرتس، بأن عدد الأواوين أربعة في كل كتلة معمارية ومدرسة، أيوانين متقابلين، وقد أورد كريسويل مخطط افتراضي لهذه المدرسة وتتكون كما قلنا سابقاً من كتلتين معماريتين كل كتلة معمارية بها إيوانين متقابلين<sup>(٤٧)</sup>، المدرسة الأولى في الناحية الجنوبية إيوان للحنابلة والمقابل له للحنفية، يفصل بينهما صحن مكشوف، أما المدرسة الثانية في الناحية الشمالية تتكون من إيوانين: إيوان للمالكية وإيوان للشافعية، ويفصل بين هاتين الكتلتين ممر وقبر تعلو مدخله مئذنة، وقد أيد هذه النظرية عبد الرحمن فهمي<sup>(٤٨)</sup>. ونلاحظ في هذه المرحلة أنه أضيف إلى المدرسة ضريح للمنشي.

أما في العصر المملوكي فنجد أن المدارس أصبحت تتخذ نمطاً معمارياً متميزاً حيث عمل المعماري المملوكي على دمج المدرستين، كما في المدرسة الصالحية في كتلة معمارية واحدة وهو ما يعرف باسم المدارس ذات الأربعة إيوانات المتعامدة على

صحن أوسط، وأول هذه المدارس كانت مدرسة السلطان المنصور قلاوون، التي بنيت في سنة ٦٨٤هـ / ١٢٥٨م<sup>(٩١)</sup> بالنحاسين، وتمتاز مدارس العصر المملوكي البحري بالفخامة والاتساع في البناء والمساحة عمق إيوان القبلة واتساع ضلعيه الطوليين واتساع مساحة الصحن المكشوف اتساعاً عظيماً، مع وجود مiazza في وسطه<sup>(٩٠)</sup>.

كما نلاحظ أن هذه المدارس ألحقت بها بعض الوحدات المعمارية ذات أهمية كبيرة بالنسبة للعامة، وهي السبيل، وكان الكتاب يعلو السبيل ومن أشهر المدارس التي أنشئت في العصر المملوكي البحري، التي تتبع هذا التصميم مدرسة الناصر محمد (٦٩٨-٧٠٣هـ / ١٢٩٩-١٣٠٩م)، بالنحاسين، مدرسة الملك الجوكندار، (٧١٩هـ / ١٣١٩). في باب الغلام، مدرسة صرغتمش (٧٥٧هـ / ١٣٥٦م)، بالخضري مدرسة السلطان حسن (٧٥٧-٧٦٤هـ / ١٣٥٦-١٣٦٢م)، بميدان (صلاح الدين)، مدرسة أم السلطان شعبان (٧٧٠هـ / ١٣٩٦م)، مدرسة الجاي يوسف (٧٧٤هـ / ١٣٧٣م)، (سوق السلاح)<sup>(٩١)</sup>. وقد استمر نظام المدارس ذات الإيوانات المتعامدة على صحناً أوسط خلال العصر المملوكي الجركسي وأصبحت هذه المدارس أصغر حجماً وأقل مساحة عما كانت عليه في العصر المملوكي البحري، وهذا أدى إلى صغر مساحة المدرسة وأصبحت أكثر رشاقة عن ذي قبل.

وأصبح في بعض الأحيان مسقوفاً بسقف خشبي يتوسطه شخشيخة، وإن كانت بعض الأمثلة الشاذة مثل مدرسة خيربك (بباب الوزير)، حيث نجد إن الصحن مغطى بقبو مروحي يتوسطه مثنى يعلوه شخشيخة، وهنا نجد أن الفسقية أو المiazza قد اختلفت نتيجة لتغطية الصحن وأصبح يدخل لها من باب جانبي بالصحن<sup>(٩٢)</sup>. ونجد في هذه المرحلة أن المعمار عمد إلى دمج نظام المدارس ذو الأربعة إيوانات مع نظام المساجد الجامعة ذات الأروقة، نلاحظ أنه قد استقى معظم عناصره من تصميم المدرسة وما أضافه المعمار تقسيم الإيوانات بواسطة بوائك وقد ألحق بهذا النوع من المدارس

بعض العناصر المعمارية التي كانت توجد في المدارس من مدافن وأسبلة وكتاتيب<sup>(٥٣)</sup>.

ونلاحظ أن بداية هذا الدمج قد ظهر في مدرسة السلطان المنصور قلاوون (٦٨٣-٦٨٤هـ / ١٢٨٥م)، بالنحاسين، وهو ما نجده في إيوان القبلة فقط واستمر استخدام هذا التصميم فيما بعد، حيث ظهر في العديد من المدارس مساجد أهمها، مسجد أحمد المهندار، (٧٢٥هـ / ١٣٢٤-١٣٢٥م)، بالدرب الأحمر، ومسجد أصلم السلحدار (٧٤٥-٧٤٦هـ / ١٣٤٤-١٣٤٥م)، بزرع النوى. ومسجد وخانقاه الأمر شيخو (٧٥٠هـ / ١٣٤٩م)، بالصليبية. وهنا نجد أن هذا التصميم قد اتضحت صفاته ومعالمه المعمارية، وقد استمر هذا النظام في عصر المماليك البرجية في كل من مسجد السلطان الظاهر برقوق، (٧٨٦هـ / ١٣٨٤م)، بالنحاسين، وخانقاه ابن الناصر فرج ٣-٨ / ٨١٣هـ / ١٤١١م، ومسجد برسباي ٨٣٥هـ / ١٤٣٣م، بالصحراء ومدرسة حاتم البهلوان (٨٣٣هـ / ١٤٧٨م)، بالسروجية، ومدرسة أبو بكر مزهر (٨٨٤هـ / ١٤٧٩-١٤٨٠م)، ببرجوان<sup>(٥٤)</sup>.

أما في إيران وشمال شرق آسية فنجد أن السلاجقة استحدثوا المدارس في العمارة الإسلامية، حيث يرجع الفضل إلى الوزير نظام الملك، الذي توفي عام (٤٨٥هـ / ١٠٩٢م)، في نشر المدرسة كمؤسسة حكومية تقدم لطلاب التعليم الإقامة والأكل. وقد بنى نظام الملك العديد من المدارس في نيسابور، وطوس، وبغداد، وغيرها من المدن، ولم تصلنا أية مدارس تعود إلى هذه الفترة سواء أكان في إيران أم في العراق أم الأناضول. وأقدم النماذج لهذه المدارس المدرسة الشرايية التي بناها شرف الدين إقبال الشراي، التي أتمت بنائها سنة (٦٢٣هـ / ١٢٢٥م)، أما تصميمها المعماري فيتكون من صحن مربع الشكل مكشوف يطل عليه من الجهة الشمالية إيوان مغطى بقبو مدبب ويحيط بالفناء غرف للإقامة وقاعات في زوايا البناء، خصصت للمحاضرات والبناء يتكون في أجزائه من طابقين<sup>(٥٥)</sup>، ومدرسة "جيجرجالي" في قونية، التي يعود تاريخ

بنائها لعام (٦٤٠هـ / ١٢٤٢م)، والمدرسة تتكون من إيوان تحف به قاعتين لكل منهما قبة<sup>(٥٦)</sup>، وانتقل هذا النظام إلى بلاد الشام في عهد الأتابكة، حيث تميزت المدرسة بوجود إيوان أو أكثر على جوانب الصحن، وكذلك انتقلت من سورية إلى مصر، وفي العصر الإيراني المغولي استخدم المعمار نفس التصميم، الذي كان سائداً في العصر السلجوقي. وفي أغلب المدارس التي تعود إلى هذه الفترة، قد تهدمت واندثرت معالمها المعمارية، أما أقدم المدارس، التي ما زالت تحافظ على معالمها مدرسة فرجرد على حدود أفغانستان، فقد بينت سنة (٨٤٩هـ / ١٤٤٥م)<sup>(٥٧)</sup>، ونلاحظ أن تصميم هذه المدرسة يعتمد على أربعة أواوين مغطاة بأقبية تحيط بالصحن وهي تشبه المدارس المملوكية المتطورة، التي تعتمد على أربعة أواوين وصحن مكشوف. أما في بلاد فارس، فقد استخدم هذا التصميم في بناء المساجد في العصر السلجوقي، ومن أهم الأمثلة عليه مسجد قزوین (٥٠٩هـ / ١١٥م)، ومسجد رادستان (٥٧٦هـ / ١١٨٠م)، وفي العصر الصفوي أيضاً استخدم المعمار نفس التصميم الذي كان سائداً في العصر السلجوقي، وهو الذي يعتمد على أربعة إيوانات متعامدة على صحن مكشوف ومن الأمثلة جامع الشاه (مسجد شاه) ١٠٣٤هـ / ١٦٣٠م، وعلى نفس التصميم بنيت مدرسة مادري شاه سنة (١١١٨هـ / ١٧٠٦م)<sup>(٥٨)</sup>.

ومن هنا نلاحظ أن هناك علاقة مشتركة بين المدارس التي ظهرت في مصر وفي إيران من حيث استخدام تصميم المدارس، التي تعتمد في تصميمها على أربعة أواوين متعامدة وصحن مكشوف، وقد انتقل استخدام هذا الطراز أو التصميم إلى بناء المساجد وخاصة في نهاية العصر المملوكي، وكذلك استمر استخدام هذا الطراز في إيران، في المدارس، والمساجد معاً كذلك استمر استخدام المآذن في المدارس والمساجد معاً كعنصر معماري، أما في سورية والعراق فنجد أن التخطيط المعماري للمدارس السورية يختلف اختلافاً كبيراً عن المباني التي ظهرت في مصر وإيران، حيث نجد أن المدارس السورية تعتمد في تصميمها على إيوان واحد أو إيوانين ومثال ذلك

مدرسة نور الدين بدمشق المشيدة سنة (٥٦٧هـ / ١١٦٢م)، ومدرسة "شاذ بخت" في حلب، فهي تعتمد في تصميمها على إيوانين، ونلاحظ أن المدارس السورية لا يوجد بها مآذن، كما في المدارس المصرية والإيرانية، أما في العراق، فنجد أن أهم مميزات المدرسة أنها تتكون من إيوانين أو ثلاثة أو إوين، مثل المدرسة المستنصرية في بغداد وخلوها من المآذن، وعند استعراض المدارس الإسلامية بشكل عام نجد أن جميعها تمتاز بميزات مشتركة، وهذه الميزات أو الصفات كما أوردها أحمد فكري هي:

- إن جميع هذه المدارس تعتمد في تصميمها على إيوان واحد أو إيوانين أو أربعة أو إوين تحيط بفناء (صحن) واسع مكشوف.
- إن جميع المدارس اعتمدت جدار القبلة قاعدة لتخطيط المبنى حيث نجد أن هناك جداراً في كل الأواوين متجهة ناحية القبلة.
- وجود (بيت الصلاة)، في كل مدرسة ويكون في الغالب في إيوان القبلة وهي أكبر القاعات الرئيسة في المدرسة.
- تعتمد المدارس على فناء (صحن مكشوف)، لإدخال الضوء والشمس والهواء إلى سائر أرجاء المدرسة ويختلف شكلها من مدرسة إلى أخرى.
- إن جميع هذه المدارس تحتوي على بيوت للطلاب والمدرستين تتكون من غرف صغيرة، وربما تكون من طابق واحد أو طابقين.

وهذا لا ينفي وجود بعض الاختلافات الثانوية في التصميم المعماري العام.

### أسباب ظهور المدارس:

اختلف العلماء والمؤرخون حول أسباب بناء المدارس الإسلامية المستقلة فمنهم من قال: إن التدريس في المساجد قد عمل على إعاقة الصلاة وذلك لتحلق الطلاب حول



أساتذتهم ويصدرون أصواتاً تؤدي إلى إعاقة الصلاة وإزعاج المصلين والمتعبدين وقد أورد أحمد شلبي: إنه نتيجة لتطور العلوم بتطور الزمن وإدخال علم الكلام وعلم الجدل والمناظرة ونتيجة للحوار والنقاش، الذي يدور خلال هذه اللقاءات وهذا بدوره يتنافى وطبيعة تدريسها في المساجد<sup>(٥٩)</sup>.

وهنا نجد أن هذا المبرر لا يجانب الصواب، لأن العلم في المساجد لا يعيق إقامة الصلاة لأن الأساتذة والطلاب يؤدون الصلاة مع المصلين وهذا لا يتعارض مع زمن إقامة الصلاة بوجهها الصحيح وهناك رأي آخر لفريد شافعي، يؤيده فيه كامل حيدر<sup>(٦٠)</sup>، يرجعون السبب الرئيسي لإنشاء المدارس الإسلامية إلى دوافع سياسية ودينية معاً، أما الدوافع السياسية فتعود إلى محاربة المذهب الشيعي، الذي كانت تدعو إليه الدولة البويهية والدولة الفاطمية بالإضافة إلى بعض المذاهب والحركات الإسلامية، التي كانت سائدة في ذلك الوقت مثل المعتزلة والباطنية، ولعل هذا الأمر هو الذي جعل المدارس في بدايتها تقتصر في علومها على العلوم الدينية واللغوية. ومن الدوافع السياسية الأخرى نجد أن الهدف الذي سعى إليه نظام الملك الوزير السلجوقي أن يظهر للعالم الإسلامي والمسلمين حرصهم على الإسلام والدين الإسلامي فيستميل بذلك مشاعر المسلمين ويثبتون حكمهم في البلاد وتتم لهم السيطرة على البلاد الإسلامية، من خلال الخلفاء والأمراء، وهناك عامل آخر يؤكد أن مؤسس المدرسة كان يحتفظ بإدارتها ويوجه نظام التدريس فيها بما ينسجم مع مصالحه السياسية لأن الخليفة لم تكن له السيطرة مباشرة على المدارس<sup>(٦١)</sup>، أما الدوافع الدينية فتركز على أن نظام المدرسة مرتبط ارتباطاً وثيقاً بنظام الوقف، انذي يعتبر وجهاً من وجه البر والتقوى<sup>(٦٢)</sup>. ومجمل القول: إن أسباب بناء المدارس الإسلامية تتنوع بين دوافع سياسية أو دينية أو كلاهما معاً.

## نظام المسجد وعلاقته التخطيطية بالمدرسة:

يعدّ المسجد من أول المباني الإسلامية التي لقيت اهتماماً وعناية كبيرة لدى المسلمين لأنها بيت الله، الذي تقام فيه الصلوات، وتُعقد فيه الاجتماعات، ومنه تُسير الجيوش الفاتحة، ومكان لحلّ خلافات المسلمين حيث كان القاضي يجلس في المسجد لحلّ القضايا ومكان للتدريس وتنقيف المسلمين. ولهذا نجد أن المسلمين قد اهتموا بمكان المسجد وتخطيطه علماً بأن المساجد الإسلامية قد اقتدت بمسجد الرسول (ص)، الذي بناه في المدينة المنورة، وهو أول مؤسسة تربوية إسلامية، وعند دراسة تخطيط المساجد الإسلامية، نجد أنها تعتمد على العناصر التالية:

- إن جدار القبلة هو قاعدة التخطيط وتصميم المسجد الذي ينطلق منه بناء المسجد ويتوسط هذا الجدار (المحراب).
- رواق القبلة أكبر جزء في البناء.
- يتوسط المسجد صحن مكشوف يحيط به الأروقة، وهذا الصحن له وظيفة أساسية في إدخال الضوء والهواء إلى المسجد.
- يحيط بالصحن أروقة أكبرها رواق القبلة وهي عبارة عن ممرات مسقوفة غايتها حماية المصلين من الشمس ومن الأمطار.

إن المساجد الإسلامية قد راعت هذه العناصر المشتركة ونجدها قائمة في معظمها وإن هذه العناصر المعمارية هي عناصر مشتركة مع المدارس أيضاً فمثلاً نجد أن العنصر الأول (جدار القبلة): قد اعتمد عنصراً أساسياً من عناصر المدرسة. أما العنصر الثاني (الرواق): وهو أكبر العناصر المعمارية في المساجد، وفي المدارس الإسلامية نجد أن إيوان القبلة هو أكبر الإيوانات ويوجد به أيضاً المحراب، أما العنصر الثالث (الصحن المكشوف): فهو من العناصر المشتركة فيما بين المساجد والمدارس. أما

العنصر الرابع (الأروقة): بالمساجد نجد أن المعماري الإسلامي استعاض عنها بالإيوانات والقاعات والغرف لإيواء الطلبة والمدرسين والمقيمين على المدرسة. بالإضافة إلى ما تقدم نجد أن العديد من المساجد والمدارس تمتاز بوجود ضريح لمؤسس المسجد أو المدرسة، وهو ما نجده بكثرة في مدارس الفترة المملوكية<sup>(٦٣)</sup>.

من هذا الاستعراض نجد أن تخطيط المدارس الإسلامية كان يمثل تطوراً عن تخطيط المساجد على الرغم من التطور الذي حدث على المدارس الإسلامية في الفترات التاريخية المتلاحقة، حيث بقيت هذه العناصر المعمارية مشتركة فيما بين المساجد والمدارس الإسلامية، فنجد أن هناك اختلافاً وظيفياً فيما بينها يظهر بالتالي:

١- إن وظيفة المسجد الأساسية إقامة الصلوات والشعائر الدينية فيما أن وظيفة المدرسة هي التدريس.

٢- المساجد لأغراض دينية فيما أن المدارس قد بنيت لوظيفة تربوية إضافة إلى أسباب دينية وسياسية أخرى.

٣- إن الدراسة كانت تتم في المساجد والمدارس معاً ولكنها ليست منظمة في المساجد -يجلس المدرس في المسجد ومن حوله الطلبة ويدرس ما شاء كحلقات تعليمية، أما في المدارس فنجد أن هناك مناهج يتبعها المدرس وأن الطلاب لا يستطيعون الخروج والدخول إلى المدرسة إلا بإذن. ويوجد فيها مكان إقامتهم ومأكلهم ومسكنهم، والتدريس منتظم في ساعات وأياماً محددة<sup>(٦٤)</sup>، كواقع التعليم في المؤسسات النظامية التربوية حالياً.

ومن وظائف المدارس، كما يوردها أحمد فكري أن المدرسة منشأة دينية لها شروط خاصة وأن تسميتها كانت مستمدة من البيوت المخصصة لسكن الشيوخ والفقهاء والمدرسين والطلبة وليست من قاعات التدريس على الرغم من مدلولها اللفظي<sup>(٦٥)</sup>.

ويبدو من اسم المدرسة أن وظيفتها الأساسية كانت التدريس، ومع أننا نجد أن المساجد كانت تقوم أيضاً بهذه المهمة وأن التدريس كان قائماً في العديد من المساجد قبل نشوء المدارس إلا أن للمدرسة وظيفة وحيدة رئيسة أساسية تتمثل بالتدريس، ثم توفر السكن الملائم للفقهاء والمدرسين والطلبة ومن بعد ذلك إجراء الأجر في المدارس حسبما أشارت المصادر التاريخية والوقفيات الخاصة، التي أکدها أحمد فكري في كتابه مساجد القاهرة ومدارسها (باب وظائف المدرسة)<sup>(٦٦)</sup>.

### ملخص:

لقد ركزت هذه الدراسة على إبراز القيم والقواعد الهندسية من الناحية المعمارية التي تتمتع بها المدرسة الإسلامية عبر العصور التاريخية الإسلامية. وبشكل محدود تحدثت الدراسة عن المدارس ودورها في الحركة الفكرية. إذ إن الباحث يرى أن هناك دراسات كثيرة عالجت موضوع نظام التعليم والناحية الفكرية التي تقوم عليها هذه المدارس ومن أبرزها بعض الدراسات الحديثة مثل تلك التي قام بها الدكتور عبد الجليل عبد المهدي من الجامعة الأردنية حول: المدارس في بيت المقدس في العصرين الأيوبي والمملوكي بجزأين، نشر سنة ١٩٨١، في مكتبة الأقصى، ثم الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى في العصرين الأيوبي والمملوكي لنفس المؤلف نشر سنة ١٩٨٠م، بدعم من الجامعة الأردنية - إضافة إلى كتابات ومذكرات المؤرخين ورحالتهم حول هذا الموضوع وعذر الباحث في التركيز على الحديث عن الطراز المعماري أو المدرسة الإسلامية إذ إن معظم الدراسات السابقة قد ركزت على إبراز دور المدارس في الحركة الفكرية ولن تعن بالحديث عن الطراز المعماري لها، أو ما يتصل بذلك على حد قول الدكتور عبد الجليل عبد المهدي بكتابة المدارس في بيت المقدس. وأن دراسة الجوانب المعمارية في هذه الدراسة تكسبها أهمية خاصة إذا تركز على آثار شاهدة على أصالة الحضارة الإسلامية.

لقد قمت في هذه الدراسة بتعريف أهم المؤسسات التي قامت على تحقيق رسالة التعليم بدءاً بدور السكن (البيوت والمنازل)، ثم المساجد، ثم دور القراءة (الكتاتيب). مع التعرض إلى أقسامها وكذلك البيمارستانات التي كان يتم فيها حوانيت التعليم أيضاً، وكذلك حوانيت الوراقين، والقصور وأخيراً المدرسة بمفهومها الحديث والمعاصر من خلال استعراض بعض المدارس الإسلامية من الناحية المعمارية والتي من أبرزها:

مدرسة دار الحديث النوري في دمشق التي بنيت سنة ٤٤٩هـ / ١١٥٤م، ومدرسة النورية الكبرى التي بنيت سنة ٥٦٧هـ / ١٧١٢م، ومدرسة خان أتون سنة ٥٦٤هـ / ١١٦٨م، والمدرسة العادلية، والمدرسة الظاهرية والمدرسة السلطانية، والكثير من المدارس المملوكية. ومن المعروف على وجه الخصوص أن المساجد التعليمية قد تعددت في تاريخ الثقافة الإسلامية، ومنها المسجد النبوي في المدينة، والمسجد الحرام في مكة، والمسجد الجامع في الكوفة، والمسجد الأقصى في القدس، والجامع الأموي في دمشق، وجامع ابن طولون، والجامع الأزهر في مصر وقد قامت هذه المساجد بدورها في تاريخ الثقافة الإسلامية وكذلك البيمارستانات، التي عمل فيها عدد من أشهر الأطباء بتاريخ العالم الإسلامي، حيث كان علم الطب مادة تدرس نظرياً وعملياً، وأنشئت مدارس خاصة له. وكذلك الخوانق والزوايا وهي من المعاهد والمؤسسات الدينية الإسلامية، مثلما هي دور علم وعبادة تقوم بأدوار مختلفة. وفي العصر الأيوبي والمملوكي شهدت المدرسة حالة تطور معماري تمثل بظهور المدارس التي تعتمد في تخطيطها على إيوانين أو أربعة أواوين يتوسطها صحن مكشوف. فكانت هذه الحالة من التطور المعماري هي السمة الظاهرة في تاريخ عمارة المدارس الإسلامية.

## الحواشي

- (١) القرآن الكريم، سورة العلق، آية ١-٥، سورة المجادلة، آية ١١.
- (٢) الغزالي، أبو حامد بن محمد، أحياء علوم الدين، ج ١، المطبعة اليمنية بمصر، ١٨٩٤، ص ١١.
- (٣) عاقل، نبيه، تاريخ عصر الرسول والخلفاء الراشدين، المطبعة الجديدة، دمشق، ١٩٨٢-١٩٨١، ص ١٠٥.
- (٤) القفطي، أبو الحسن جمال الدين علي بن يوسف بن ابراهيم الشيشاني (ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٨)، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، مطبعة السعادة، مصر ١٩٠٨، ص ٢٨٢.
- (٥) حيدر، كامل، العمارة العربية الإسلامية (نشوء المدارس الإسلامية وخصائصها في العصر العباسي)، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٥، ص ١٠.
- (٦) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م)، المقدمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢، ص ١٠٤.
- (٧) حيدر، كامل، العمارة العربية الإسلامية، ص ١٤.
- (٨) الحموي، ياقوت، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي، (ت ٦٢٣هـ / ١٢٢٥م)، معجم الأديباء أو طبقات الأديباء (إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب)، المطبعة الهندية بالموسكي، ١٩٢٣-١٩٣٠، ج ٤، ص ٢٧٢.
- (٩) فكري، أحمد، مساجد القاهرة ومدارسها، ج ٢، دار المعارف، مصر، ١٩٦٩، ص ١٤٧.

- (١٠) حيدر، كامل، العمارة العربية الإسلامية، ص ١٦.
- (١١) المقرئزي، الشيخ تقي الدين بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥هـ / ١٤٣١م)، المواعظ والاعتبار في الخطط والآثار في مصر والقاهرة والنيل وما يتعلق بهما من الأخبار، الخطط، المطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٨٥٣م، ج ٢، ص ٤٠٥. غليونجي، بول شوقي، جلال، موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين، دار المطابع المستقبل، القاهرة، ١٩٨٥، ج ١، ص ٢٢.
- (١٢) العلي، أكرم، خطط دمشق، (دراسة تاريخية شاملة، دار الطباعة، الطبعة الأولى، دمشق ١٩٨٩، ص ٢٦٠-٢٦٢.
- (١٣) العلي، أكرم، خطط دمشق، ص ٢٦٢-٢٦٣.
- (١٤) شلبي، أحمد، تاريخ التربية الإسلامية، مطبعة دار الكشف، بيروت، ١٩٥٤، ص ٤٠.
- (١٥) الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، ج ٦، ص ٥٦.
- (١٦) المرجع السابق، ج ٥، ص ١٢٥.
- (١٧) المرجع السابق، ج ٥، ص ٤٥، فكري أحمد، مساجد القاهرة ومدارسها، ج ٢، ص ١٥٤.
- (١٨) شيحة مصطفى، الآثار الإسلامية في مصر من الفتح العربي حتى نهاية العصر الأيوبي، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى، ١٩٩٢، ص ٣٦.
- (١٩) المقرئزي، الخطط، ج ٢، ص ٢٦٣.

- (٢٠) معروف، بشار، مدارس العراق في العصر العباسي، بحث في كتاب حضارة العراق، مطبعة دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٥، ج٨، ص ١١٨، حيدر، كامل، العمارة العربية الإسلامية، ص ٢٤.
- (٢١) الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، ص ٤٢.
- (٢٢) العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص ١٩٧.
- (٢٣) ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، مطبعة دار القلم، ١٩٧١، ج٧، مطبعة دار صادر، والأجزاء الباقية بدون سنة طبع، ج٤، ص ٢٧٢، الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، ج١، ص ٢٨٨.
- (٢٤) حيدر، كامل، العمارة العربية الإسلامية، ص ٢٤.
- (٢٥) السبكي، أبو ناصر عبد الوهاب بن تقي الدين (ت ٧٧١هـ / ١٣٧٠م)، طبقات الشافعية الكبرى، مطبعة الحيتية بالقاهرة (١٣٢٤-١٩٠٦م)، ج٤، ص ٣١٣-٣١٤.
- (٢٦) فكري، أحمد، مساجد القاهرة ومدارسها، ص ٥٠.
- (٢٧) المقرئزي، خطط، ج٢، ص ٣٦٣-٣٦٤.
- (٢٨) المرجع السابق، ص ٥٦.
- (٢٩) الند، فليمغ، مانيك، ميخائيل، المقدادي، رياض، بصرى، الإسلامية دليل مختصر، معهد الآثار الألماني في دمشق، المطبعة الاقتصادية، عمان ١٩٩٠، ص ٣٦.



- (٣٠) فكري، أحمد، مساجد القاهرة ومدارسها، ص ١٠٠، حيدر، كامل، العمارة العربية الإسلامية، ص ١٠١.
- (٣١) فكري، أحمد، مساجد القاهرة ومدارسها، ص ١٠٠.
- (٣٢) العلي، أكرم، خطط دمشق، ص ٩٠-٩٣.
- (٣٣) فكري، أحمد، مساجد القاهرة ومدارسها، ص ١٠٤.
- (٣٤) العلي، أكرم، خطط دمشق، ص ٢٢٥-٢٢٧.
- (٣٥) المرجع السابق، ص ١٤١-١٤٤.
- (٣٦) فكري، أحمد، مساجد القاهرة ومدارسها، ص ١١١-١١٢.
- (٣٧) المرجع السابق، ص ١١٢-١١٣، الديماوي، عبد القادر، العمارة العربية الإسلامية، دار البشائر، دمشق، ١٩٩٩، ص ١٦٠.
- (٣٨) فكري، أحمد، مساجد القاهرة ومدارسها، ص ١١٧.
- (٣٩) حيدر، كامل، العمارة العربية الإسلامية، ص ١٠٤.
- (٤٠) فكري، أحمد، مساجد القاهرة ومدارسها، ص ١١٥.
- (٤١) المرجع السابق، ص ٩٤.
- (٤٢) المرجع السابق، ص ٥٠.
- (٤٣) المرجع السابق، ص ٥٠.
- (٤٤) المرجع السابق، ص ٥١.
- (٤٥) Creswell, K.A.C.: The Muslim Architecture of Egypt 2 Vols , Oxford, 1950-1952, p. 123.

فرغلي، أبو الحمد، الدليل الموجز لأهم الآثار الإسلامية والقبطية في القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الثانية - ١٩٩٣، ص ١٩٩-٢٠١، شيخة، مصطفى، الآثار الإسلامية، ص ٢٢٦.

(٤٦) فكري، أحمد، مساجد القاهرة ومدارسها، ص ٦٠. شيخة، مصطفى، الآثار الإسلامية، ص ٢٢٥. حيدر، كامل، العمارة العربية الإسلامية، ص ١١٤.

(٤٧) Creswell, K.A.C.: The Muslim Architecture of Egypt Vols 2, p. 127-129

(٤٨) فهمي، عبد الرحمن، القاهرة، تاريخ فنونها، وآثارها العمارة قبل العصر المملوكي، مؤسسة الأهرام، ١٩٧٠، ص ٢٣٢. شيخة، مصطفى، الآثار الإسلامية، ص ٢٣٥-٢٤٠. فرغلي، أبو الحمد، الدليل الموجز، ص ١٩٩.

(٤٩) نجيب مصطفى وآخرون، القاهرة، تاريخ فنونها، وآثارها (العمارة في عصر المماليك)، مؤسسة الأهرام، ١٩٧٠، ص ٢٣٢.

(٥٠) المرجع السابق، ص ٢٤٥.

(٥١) المرجع السابق، ص ٢٤٥.

(٥٢) المرجع السابق، ص ٢٤٥-٢٤٦.

(٥٣) المرجع السابق، ص ٢٤٦-٢٤٧.

(٥٤) المرجع السابق، ص ٢٤٧.

(٥٥) حيدر، كامل، العمارة العربية الإسلامية، ص ٦٢.

(٥٦) عبد الحميد، سعد، العمارة والفنون في دولة الإسلام، منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٨٦، ص ٤١٢.

- (٥٧) المرجع السابق، ص ٤٤٦.
- (٥٨) المرجع السابق، ص ٥٣٤-٥٣٦.
- (٥٩) شلبي، أحمد، التربية الإسلامية، ص ٥٨.
- (٦٠) شافعي، فريد، العمارة العربية ص ٢٤٨-٢٥٠. حيدر، كامل، العمارة العربية الإسلامية، ص ٢٩-٣٠.
- (٦١) معروف، بشار، مدارس العراق، ص ٨٥.
- (٦٢) حيدر، كامل، العمارة العربية الإسلامية، ص ٣٠.
- (٦٣) فكري، أحمد، مساجد القاهرة ومدارسها، ص ١١٨.
- (٦٤) ابن جماعة، أبو اسحاق ابراهيم ابن جماعة الكتاني (ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م)، تذكرة السامع والمنكلم في أدب العالم والمتعلم، نشره محمد هاشم القدري، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م، ص ٢٣٥-٢٤٤.
- (٦٥) فكري، أحمد، مساجد القاهرة ومدارسها، ص ١٦٣.
- (٦٦) المرجع السابق، ص ١٥٤-١٦٣.